



Why is Such Dread from Islam?

Lima Hādhā al-Ru'b Kulluh min al-Islām?

Jawdat Sa'īd

خافت قريش من الإسلام حين ظهر... خافت من أتباعه الضعفاء والفقراء والمساكين.. الذين لم يكونوا يملكون قوت يومهم، ولا خرقة بدنهم، ولا قطعة سلاح واحدة!

فهل كانت قريش على حق؟

نعم، كان ما أفزعها حقاً واقعة..

لقد انتشر الإسلام بكل هدوء ومحبة كما ينتشر ضوء الشمس.

وقضى على عنجهتها... ووثنياتها.. وعاداتها..

وعمّ نور الحق في الأرض

* * *

وتعود الكرة اليوم... ويخاف الغربيون من الإسلام...


ISBN 1-59239-532-5
9 781592 395323

جودت سعيد

لم هذا الرعب كله من الإسلام ؟ !
وكيف بدأ الخوف ؟ !





الرقم الاصطلاحي: ١٩٣٤,٠١٣
الرقم الدولي: ISBN: 1-59239-532-5
الرقم الموضوعي: ٢١٠
الموضوع: دراسات إسلامية
العنوان: لم هذا الرعب كله من الإسلام؟!
وكيف بدأ الخوف؟!
التأليف: جودت سعيد
التنفيذ الطباعي: دار الفكر - دمشق
عدد الصفحات: ٦٤ ص
قياس الصفحة: ١٢×١٧ سم
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق-سورية
فاكس: ٢٢٣٩٧١٦
هاتف: ٢٢٣٩٧١٧ - ٢٢١١١٦٦
Http://www.fikr.com
e-mail: info@fikr.com

الطبعة الأولى
ربيع الأول ١٤٢٧هـ
نيسان (أبريل) ٢٠٠٦م

كلمة الناشر

أحبت دار الفكر أن تنشر شيئاً جديداً من أعمال الأستاذ الشيخ جودت سعيد بمناسبة تكريمه في اليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف لهذا العام ٢٠٠٦، فوقع في يديها كتيب كانت لجنة مسجد جامعة دمشق قد أصدرته في ستينيات القرن الماضي بعنوان «لم هذا الرعب كله من الإسلام؟» عالج فيه موضوعاً رأت أنه ما يزال حيّاً، بل أخذ يستشري في الغرب مع مطلع القرن الواحد والعشرين استشراءً أدى إلى تصرفات عدوانية قام بها الغرب مما أقلق العالم كله ونشر الرعب في البلاد المغلوبة على أمرها، أو التي تخاف أن يصل إليها العدوان.

وحين بدا للدار أن تعيد نشره، استأذنت المؤلف، فأثار ذلك في نفسه تداعيات تدفق حفظه الله تعالى بها فكانت تحت عنوان «كيف بدأ الخوف؟!».

وإذ رأت الدار -بين سؤال أسباب الرعب من الإسلام، الذي طرحه الأستاذ جودت قبل أكثر من أربعين عاماً، وسؤال بداية الخوف منه الذي يطرحه الآن- ما يشير إلى تطور فكره الذي بدأ متأملاً فيما يراه من المشكلات في الواقع، وانتهى إلى الحفر حولها والكشف عن أسبابها وجذورها وكيفية تشكلها. . فقد زاد ذلك من عزم الدار على المضي قدماً في نشر هذا العمل الفريد الذي كتب نصفه في ستينيات القرن الماضي، ويكتب نصفه الآن في مطالع القرن الواحد والعشرين، ليكون شاهداً على تجذر المشكلات التي تحيق بالعالم الإسلامي، ونمو الأفكار التي تحث المسلم على الوعي بها، والتعامل معها على هدى وبصيرة.

تقدم الدار للأستاذ الشيخ جودت سعيد كبير تقديرها وتسأل الله له العافية والمعافاة الدائمة والمزيد من العطاء.

كيف بدأ الخوف؟

بمقتضى الآية الكريمة: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٩/٢٠] ومن الناحية الجغرافية وحفريات العلماء أدرك الإنسان الحالي أن الإنسان الأول وجد في إفريقية وخرج إلى سائر أنحاء العالم وهو أقدم إنسان وجدوه حتى الآن.

وكان طريق الخروج إلى العالم منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط، وهناك نشأت الحضارات، وانتشر الناس الذين خرجوا من إفريقية من مصر إلى الصين.

وبدأ الإنسان يتفاعل مع الوجود حتى وصل إلى مرحلة صنع الحضارات في أماكن استقر فيها وتطور فكره، فكانت حضارات الصين ومصر ولكن لم تقم علاقات ولا صلات بين تلك الحضارات لتباعد المسافات الجغرافية، حيث لم تقم أيضاً علاقة بين نشوء الحضارات.

إلا أن منطقة شرق البحر المتوسط كانت الجسر الذي يصل

بين البشر وبين القارات الثلاث الكبرى أوربة وآسية وإفريقية حتى الأنبياء فقد بعثوا في هذه المنطقة من العالم.

إنّ القرآن الكريم يحصر الحديث عن مجيء الأنبياء بآدم أولاً، ونوح من بعده، ثم آل إبراهيم. لكن دراسة العلاقة بين الناس في هذه المنطقة تجعلك تسمع آراء أخرى تكوّن عندك رؤية شمولية كلية، فمنذ بعث الأنبياء كنوح الذي كان أقدم من إبراهيم الذي جاء متأخراً عنه، إذ إن صحف إبراهيم وموسى جاءت بعد عصر الكتابة. فالناس الذين يعيشون في منطقة (الفواصل) الجغرافية والحضارية يعرفون ويتعلمون ويفهمون الأطراف المختلفة، وتصير رؤيتهم أوسع، من هنا نشأت فكرة (وحدة الإنسانيات) عند نوح وإبراهيم. ولكن القبائل أو التجمعات البشرية التي لم تكن عندها قدرة التواصل كانت ترى نفسها أنها هي الإنسانية.

بينما كان خطاب الأنبياء للإنسان منفصلاً عن الفواصل والأقسام المختلفة، هذه الرؤية النبوية رؤية أعلى وأشمل من الرؤية القاصرة الجزئية لأنها رؤية رسالية عليا.

عندما يمتلك الإنسان معلومات أكثر ورؤى متفرقة وفرقاء أكثر يتولد لديه القواسم المشتركة الإنسانية. من هذا الجانب نستطيع أن نقول: صحيح أن الحضارة الفرعونية قوية، إلا أنها محصورة ومغلقة، ولكن فيما بعد ربما تأثرت بالحضارة اليونانية أكثر من تأثرها بالحضارة الصينية البعيدة. في آسيا كان هناك انقطاع بين البشر الموجودين فيها.

إن إحساسي أنني مرتبط بالتاريخية مع شمال البحر المتوسط وجنوبه، بأحداث تاريخية لها قيمة أو ذكر، لا مع الصين أو اليابان. إلا أن الأحداث التي قامت بين مصر واليونان وبين مصر والإسكندر المقدوني ومجيئه إلى هذه المنطقة، ومنشأ ديانات إبراهيم وموسى وعيسى في هذه المنطقة بالذات، إذ لما بُعث المسيح كانت هناك علاقة بين مصر والعراق، وكان إبراهيم عليه السلام يربط بينهما، وكان الشمال والجنوب صار بينهما الإسكندرية والإسكندرونة، ومجيئ الإسكندر، ونشأت حضارة البطالسة والرومان الذين جعلوا البحر المتوسط بحيرة رومانية حتى قالوا: إن كل الطرق تؤدي إلى روما.

ربما نكشف العلامة الفارقة بين المسيح والإسكندر، إذ جاء الإسكندر الذي هو تلميذ أرسطو كقائد عسكري.

لكن المسيح لم يكن كذلك، إنما كانت رؤيته رؤية إنسانية جعلت روما كلها تتحول إلى المسيحية بأسلوب سلمي، وبمدد متطاولة، وحوار مستمر في العلاقة بين الجنوب والشمال، في حين كان الاتصال مع الشرق قليلاً.

صحيح أنهم وصلوا إلى العراق، لكنهم كانوا يقولون: بلاد ما وراء النهر، وكأنه عالم آخر.

لقد تحولت روما إلى المسيحية التي جاء بها المسيح الآتي من فلسطين بوابة القارات ونقطة التقائها.

نشأ هذا الفكر المتوسع العالمي وكان التبادل بين الإسكندر (الرومان) (الغرب) وبين المسيح (المشرق).

عندما وصل الإسلام إلى شرق البحر المتوسط واجه الرومان، وصار السجال الإسلامي الروماني طُرد الرومان، وتحرك الإسلام من الشرق كما المسيح ووصل إلى القسطنطينية، وذهب إلى إسبانية، وكادت البحيرة الرومانية تصبح إسلامية وحدث ما حدث.

لقد كان هذا المد الإسلامي هو الرد الثاني على الرومان واليونان وأرسطو وتلميذه الإسكندر، بعد الرد الأول (المسيح).

لكن الرومان ظلوا موجودين حين أسلمت بلاد الشام كما كانت قد دخلت المسيحية من قبل. يذكر توينبي أن الدولة الرومانية صنعت لغة للتفاهم، لأنها حكمت جنوب البحر المتوسط وشماله، وصارت هناك قوة عسكرية وطرق عبور آمنة، بدأت عندها حضارة (التقنيات) التي صارت بحاجة إلى فكر إنساني، فكان فكر المسيح على هذا الطريق، حيث تحولت روما إلى المسيحية كما ذكرنا سابقاً.

عندما جاء الرد الثاني بعد المسيح الذي هو الإسلام وطُرد الرومان وخرجوا من دمشق وهم يقولون: «سلام عليك يا دمشق وقد ذهبوا»، بدأ الإسلام يعمل، إلا أنهم رجعوا إلى المنطقة بعد ذلك بالحروب الصليبية، وأقاموا دولة وحروباً دامت ٢٠٠سنة.

إن ذاكرة الإنسان في هذه المنطقة تحمل هذه الأشياء

التاريخية التدافعية السجالية، تحمل إبراهيم والإسكندر وفكر سقراط وأرسطو معلم الإسكندر، ولكن عندما انطلق الإسلام إلى هنا استطاع أن يأخذ الفكر اليوناني وفلسفة سقراط وأرسطو الذي سمي المعلم الأول، واستفاد المسلمون، ولكنهم لم ينبهروا، لأنهم كانوا قوة، والرومان كانوا ضعافاً في ذلك الوقت وفقدوا القوة.

لكن عندما جاءت الحروب الصليبية واختلط الغربيون بالمسلمين قرؤوا ثقافة المسلمين وكتبهم، وترجموها للغاتهم، فأعادوا من جديد اكتشاف تاريخهم، تاريخ اليونان وأرسطو، وأعادوا اكتشاف الفلسفة اليونانية من جديد على أيدي المسلمين الذين درسوا هذه الفلسفة وعمقوا فيها وجددوا، حتى سمي الفارابي المعلم الثاني.

لكن الأوربيين بدؤوا يفكرون ويعملون للنهضة الأوربية، في حين خمدت ثورة المسلمين، وتمزقوا فيما بينهم بعد الحروب الصليبية وقام الأوربيون بدراسة الكتب وبالنهضة الأوربية من جديد، واستطاعوا أن يكتشفوا بعد ذلك أمريكا، وداروا

حول الأرض، واستفادوا من تراث المسلمين وكتبهم في الطب والفلسفة وغيرها من العلوم، وفي كل المجالات، بحيث نقول في التاريخ: إن حضارة اليونان لم تكن قوة، ولكن كانت حضارة علم، ولم يكن هناك علم مثل علم اليونان، ولما جاء الإسلام سيطر على الوضع، كل هذا مرتبط بعضه ببعض.

لهذا إنني أقول: إنك عندما تقرأ القرآن الكريم تجد اليهود، وتجد موسى، وتجد فرعون، وتجد ماذا حدث في التاريخ؛ ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم: ٣٠/ ٢-٣]، وتجد الحضارة الفرعونية، (وفرعون له مساحة كبيرة في الكتب السماوية) وتجد تاريخ المسيح في هذه المنطقة، وكيفية حوار الحضارات.

عندما انتعشت الحضارة الأوربية عاد أهلها مرة أخرى، جاؤوا بحروب استعمارية.

حينما ألتقي بصيني أو ياباني لا أجد بيننا تاريخاً يحكمنا، لكن ضمن التسلسل التاريخي الذي عرضناه آنفاً يكون الأمر

مختلفاً مع اليوناني أو الأوربي حيث يحضر تاريخنا مع فرعون، وتاريخنا مع اليهود، وتاريخنا مع المسيحية، وتاريخنا مع الرومان هذا كله حاضر في أذهاننا، لا يغيب عن بالنا، يحكم لاشعورنا، المسيحية واليهودية والتنازع بينها، كان من نتيجة ذلك حتى الآن، وفي هذا العصر بالذات وقبل حوالي عشرين سنة، لما سقط الاتحاد السوفييتي كقوة عظمى قالوا: الآن يجب أن نسقط الإسلام، حيث السجال التاريخي.

عندما اكتشف الغرب العالم وتوسعت رؤيته وصار عنده القوة والهيمنة نظر إلى الآخر نظرة دونية، وقال: إن الآخرين جهلة لا يعرفون، هم فقط الذين يمتلكون الفهم هذا هيمن عليهم، وأثر في الحضارة الجديدة، لما جاء نابليون إلى مصر وأخذ حجر الرشيد وأحيا اللغة الفرعونية وما شابه ذلك، لهذا قال بوش لما سقط الاتحاد السوفييتي الآن هذا القرن هو قرن سقوط عدونا الذي نشأ منذ النزاع بين الكنيسة الشرقية والغربية، لكن لما تخلصوا من هذا الرعب قال: الآن وفي القرن القادم ستتغلب على الإسلام. هذه الذاكرة هي التي

تحكم «لماذا هذا الرعب كله من الإسلام؟» لأن رعب التاريخ طويل في حركة الإنسان، والأنبياء جاؤوا بفكرة وحدة البشرية «خير الناس أنفعهم للناس» هذه فكرة عملاقة.

لا إكراه في الدين.

توحيد الله خالق الكون والمشرف عليه، نظام واحد وسنن ثابتة.

لقد اكتشف الأوربيون هذه المفاهيم بشكل أكبر مما هي عند المسلمين، وهي تشكل عندهم نتفاً صغيرة، لم تكن كافية للتغيير والإقلاع.

إن التغيير في فهم الفلك ومركزية الأرض أعطى قوة عظيمة، لهذا نقول: إن هذه المعرفة للانقلاب الفلكي نتج عنه انقلاب في المجتمع الإنساني، واستطاع الفكر المسيحي والإبراهيمي والعالم الغربي الوصول إلى شيء مهم، إنها الديموقراطية. هذا وإن كان مجيئه من خارج الديانات وخارج الإيمان فإنهم هم الذين يشهدون الناس وعلى الناس، ونحن الآن خارج التاريخ، لا نشهد، ولا نقرأ ماذا يحدث في

العالم، إلا أن هذا التاريخ ومجيء القوة العسكرية منذ الإسكندر المقدوني وبعد ذلك الرد المسيحي أولاً، ثم الرد الإسلامي ثانياً نجدهم لا يزالون يحتفظون في ذاكرتهم بحروب الفرنجة والحروب الاستعمارية التي قامت على هذا الأساس، أيضاً الحروب الاستعمارية الجديدة.

عندهم الآن نقص كبير، لأن الذي ينتصر أولاً يعطي الفرصة لخصمه ثانياً، وكأنهم بغرورهم بالحضارة وسيطرتهم يهمشون العالم كله وكأنه لايوجد أحد إلا الغرب. كان العالم كله روما والآن صار العالم كله أوربة الحضارة الأوربية.

لهذا فإن ذاكرتنا نحن وذاكرة التاريخ البشري تعمل عملها بكل قوة، والمسلمون لم ينسوا التاريخ ولم يفقدوا الذاكرة، وصحيح أنهم متخلفون، لكنهم يشعرون أنهم يحملون رسالة كبيرة، هي رسالة التوحيد، وإن كانت فكرة التوحيد عند المسلمين يشوبها بعض الغموض والضبابية، ولم تتبلور لديهم، ولم يقدروا أن يهضموا قيمة الديموقراطية التي وصل إليها الغرب بكل المعاناة وباحترام الإنسان وانقطاعاتهم عن

الكنيسة، ونحن لا نزال في قصور عن تصور هذا الموضوع، ولكن نحسُّ من كتابات كثيرة غربية أنهم يتخوفون من الشرق، لأنه كان يأتيهم ويكتسحهم.

وقد كتب جب وتوينبي أنه إذا كان لهذا العالم البشري أن يتحد فإنه لا يمكن أن يحدث ذلك من دون مساهمة المسلمين لأن الإسلام هو الذي ما زال يحمل فكرة المساواة الكاملة بين البشر كلهم. ليس هناك بشر غير قابلين لأن يتحضروا، وليس هناك إنسان غير قابل للتحضر، ولا دين غير قابل لأن يصير علماً. كل الأديان قابلة للتطور، وكل البشر قابلون للتحضر، ولكن لب الموضوع عندما اكتشف العلماء عدم مركزية الأرض، وأنها تدور حول الشمس، وليست هي التي تدور حولنا. هذا الانقلاب الفلكي حصل مثله انقلاب اجتماعي باصطدام الحضارة اليونانية والمسيحية والأوربية والاستعمارية، حصل نوع من الانقلاب الاجتماعي، إذ كان الناس ينظرون إلى الملوك على أنهم كبار (فرعون)، والشعوب كانت هي الصغيرة. فهذا الانقلاب الاجتماعي

حدث، فلم يعد للملوك قيمة، وأصبحت القيمة الكبرى للشعوب، هذا شيء كبير جداً، وهذا يجعل الذين يسيطرون على العالم في تخوف؛ لأنه عندما يستيقظ العالم فإنهم سيفقدون هذه الهيمنة والتسلط والفكر الفرعوني على أساس ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾. هذه الأشياء مبثوثة عندنا، ونحن المسلمون عندما نعلم ونفهم هذه الأشياء نشعر بطمأنينة عظيمة لهذا الإحساس الذي نحسّ به في نقص الحضارة الغربية التي اخترعت حق الفيتو، هذا العار على الإنسانية الذي يمثل الشرك الأكبر والدكتاتورية البشعة التي تبقي العالم في مشكلة مستمرة وتعيق نموه.

عندنا قابلية لكشف هذا الخلل الكبير أكثر من الآخرين، لأن الذي يتمتع بالخيرات لا يمتلك القدرة على كشف ذلك العيب الكبير.

هم يشعرون بالنقص؛ لأنهم لا يساوون بين الناس، وينظرون إلى الآخرين نظرة غير إنسانية.

أما الآخرون فإنهم يريدون أن يثبتوا وجودهم.

عندما تصير لغة الحوار لغة عنف، لغة هيمنة، لغة سخرية - حتى السخرية بالرسوم الكاريكاتورية[(١)] -فإنهم نتيجة لذلك سيسخرون منا، بينما نحن عندنا قيم: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ والذي يأتي دائماً بأفضل من الذي سبق ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾.

لقد جاء القرآن الكريم بهذه القوانين الكبيرة.

لهذا فإن الذين يفكرون ويميلون إلى السيطرة - سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين - مخطئون، لم يفهموا لا الإنسان، ولا العقلية الإنسانية.

(١) يشير بذلك إلى الصور الكاريكاتورية المسيئة بحق النبي صلى الله عليه وسلم التي نشرت في الدانمرك وأقامت الدنيا في العالم الإسلامي. (الناشر).

إن الاتحاد الأوربي نموٌ في الفكر البشري

إن تصورهم عن الله ليس بواسطة آيات الآفاق والأنفس، لكننا نحن عندما نفهم الله بواسطة آياته في الآفاق والأنفس يصير الدين - وليس الإسلام فقط - علماً، وحينما يصير الدين علماً يصير عالمياً، عندها تصبح الأمم المتحدة ديموقراطية، وتكون المشكلة محلولة. وتضع المشكلة الإنسانية على طريق الحل، لأن العالم كله مشترك، هناك الصين والهند ثلث العالم، بعيدتان عن فعل الحدث، هؤلاء عندما يدخلون الميدان وقد دخلوا ستحل المشكلة.

إن الكون ليس عبثاً، هذه فكرة أساسية، ونحن نستطيع أن نحيي الأديان جميعاً؛ لأن القرآن يقول لنا كل الأنبياء جاؤوا بهذه الفكرة؛ بفكرة العدل بين الناس.

عندما نفهم الدين على أساس العلم، بواسطة آيات الآفاق والأنفس، وعندما نعرف ذلك، نعرف أنه يتسخر لك البرق والمادة ويتسخر لك الإنسان. هنا يحدث لدينا تغير في مفهوم الإنسان ويصير عنده طمأنينة.

وكما أننا لا نخاف من الكهرباء لأننا نعرف قوانينها، كذلك لا نخاف من الإنسان لأننا نعرف قوانينه.

إنّ قبول العدل أكبر قيمة للإنسان، وبمجرد أن ترفض العدل فقد أشركت وإن هذا هو الشرك.

﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر: ٣٩/ ٦٥]

هذا بدون تحديد، هذا قانون كبير وأساسي، أشركت بماذا؟ لا تقبل السنن الاجتماعية، كما أن الكون قائم على المساواة، وإذا أخل بالمساواة خرب. كذلك المجتمع الإنساني، فإنه يخرب برفض المساواة، إن الكون يتهاوى بمجرد اختلال النظام الفيزيائي له، وكذلك الكون الاجتماعي البشري الكبير، إن الذي لا يقبل القوانين هو الخاسر وهو الخائف.

لا تحقد على الكون المسخّر لك، وليكن قلبك سليماً تجاهه، ونفسك مطمئنة له.

إن الذي يملك القوة ليس له سلطان على عقل الإنسان.

إن الذي يملك القوة هو الذي يخاف، وهو الذي يحاول أن يحمي نفسه بالقوة، إن المسلمين يخافون، لأنهم يظنون أنهم لا يستطيعون أن يحموا أنفسهم إلا بالقوة «قوة العضلات والسلاح» والأمريكان أيضاً يخافون أن تظهر قوة غيرهم.

لم هذا الرعب؟ هذا الرعب سيزول، وذلك بمجرد أن تتعرف على الإنسان، على حقيقة الإنسان، وعلى الكون، وعلى النظام الذي يحكم الإنسان، ويحكم الكون. عندئذ، لن يكون هناك خوف في قلبه، عندها يطمئن الإنسان، ألا بذكر الله تطمئن القلوب؛ بكشف سنن الله في الآفاق والأنفس، وبمعرفتها تطمئن القلوب، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٣٩/٩].

هذه الأشياء محلولة بحسب تصوري وفهمي واطلاعي وقراءاتي، ومطمئن لها أيضاً، إن تذوق العلم يريح القلب.

والحل هو انتشار هذا الوعي بين الناس وتعميمه، إن الوعي هو رصيد كل شيء إيجابي للإنسان.

اليابان لم تنزل من السماء، إنما تكونت في الأرض، وتحللُ

الاتحاد السوفييتي آيةٌ من آيات الله، تلك القوة العظمى التي كانت تملك قدرة تدمير هائلة استسلمت من دون قيد أو شرط.

أعيد؛ الحل هو أن «نصير نفهم»، أن نمتلك الفهم والوعي عن الإنسان والتاريخ.

قرأت في مجلة الثقافة العالمية موضوع «مشكلة التقليد»، والناس لا يفهمون الأشياء، وإنما يسلمون بما يقال لهم، ولا يستطيعون التفكير فيما لم يُفكَّر فيه، وما لم يسمعوه وإنما يقلدون الذين يتحدثون.

لهذا نقول وننبه الإنسان إليه دائماً أن يفهم السنن والقوانين، يستطيع الإنسان ويصير عنده القدرة أن يؤول الأحاديث ويفهمها، كما صرت أستطيع تأويل الأحاديث وتحليلها، كأحداث اليابان الذين تحرروا من غير قوة، لكنهم لا يحملون رسالة للعالم، والاتحاد السوفياتي سقط بالرغم من امتلاكه أكبر قوة تدميرية في العالم، إن السلاح لا يحمي إنه كالأصنام التي كانت تعبد في الجاهلية، إنها أوثان العصر. إن أوربة تتحد بعد أن دمر أهلها بعضهم البعض، إنهم لم يتحدوا

بالقوة، ليس هتلر ولا موسوليني ولا تشرشل هم الذين وحدوهم، إنما قوة الفهم والوعي لتاريخهم، هو الذي يوحدهم. إن عمر الولايات المتحدة قصير جداً، وإن الهيمنة ستزول؛ لأنها تسير ضد قانون الإنسان، وعندما تزول وتنتشر فكرة الديموقراطية يفهم العالم الإسلامي، كما بدأت تركيا تسير على طريق الفهم، إن السوق الديموقراطية بحاجة إلى زمن إلى سنوات ربع قرن، خمس انتخابات كي يتدرب الناس على الديموقراطية، كي يطمئن الناس ويثقوا بالانتخابات التي لا قيمة لها عندهم الآن. إلى الآن نحن لم ندخل إلى هذا الشيء ولكن رغماً عنا سندخل، لأن ما نعيشه الآن ليس له فائدة ولا قيمة؛ لهذا ينشأ الخوف.

إن القرآن الكريم يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١٣/٢٨].

بذكر سنن الله بمذاكرتها وفهمها تطمئن القلوب.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ١٠/٦٢] لا خوف عليهم في

المستقبل، ولا يخافون من المستقبل، ولا يحزنون على الماضي الذي تقاتلوا فيه، وقتل بعضهم البعض، وفقدوا الرشد، وجهلوا النبوات، وجهلوا القرآن، وصاروا متاعاً يباع ويشترى، وعاشوا الغي وتداعت عليهم الأمم.

إن الإيمان سينهض، والقرآن الكريم يقول: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: ٦١/٨] هنا أفهم أن نور الله هو كلمة السواء، هو العدل، لهذا أنا كتبت في ذاك الوقت شيئاً لاستنهاض المسلمين.(١)

عندما ترى أحداً يخاف منك، وهناك تاريخ بينك وبينه فقد ينعشك قليلاً.

لكن أنا تجاوزت هذا الموضوع، ولم يعد عندي الخوف، لا قليله ولا كثيره، لا شيء من هذا، إنما عندي بدل الخوف

(١) يشير إلى القسم الثاني من هذا الكتيب الذي نشرته لجنة مسجد جامعة دمشق أوائل ستينيات القرن الماضي. (الناشر).

أفكار سليمة إنسانية ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢/٢٥٦] ألا يكون طاغوت في الأرض، والعروة الوثقى الحبل المتين الذي ينقذك من الخوف، ويجعلك تعيش حالة الطمأنينة والقلب السليم، إنه الحبل الذي لا ينقطع، إن الأنبياء ضحوا بأنفسهم، وماتوا، وعذبوا وما أشبه ذلك، حتى استطاعوا أن يثبتوا، المسيح نفى العنف. والإنسان بعقله وليس بعضلاته. إن عضلات الإنسان صارت كبيرة ليس كالفيل والجمل، ولكن بفهمه للكون وتسخيره له بعقله. والقرآن الكريم يكرر ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا﴾ [الجاثية: ٤٥/١٣] حينما تؤمن بأن الكون فيه سنن، وهي مسخرة لك فهذا رأسمال كبير يطمئن قلبك ويزول الغل منه لأي كان، إننا فقط نحن بحاجة للفهم، بحاجة للفهم. هذا لم يعد غيباً، وإنما أصبح عالم شهادة، نراه بأعيننا.

فعندما نسأل ماذا نفعل؟

نقول يجب أن نفهم هذا، يجب أن تطمئن قلوبنا، أن يصير عندنا إيمان راسخ بهذه الأشياء. هذه حقائق، إن شئت آمن، أو لا تؤمن، هذا شيء آخر، لكن هذا سيتحقق ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل: ١٦/١] وحينما نعرف هذا، وبمجرد أن نفهمه ونعيه ونعيشه نستيقظ، وسيحيا القرآن بالفهم، وليس بالقداسة التي يقدسونه بها، دون أن يعرفوا لماذا يقدسونه، ولماذا نزل عليهم؟

نحتاج إلى فهم وإلى علم: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٣٩/٩] هل يستوي الذين يعرفون ماذا حدث في العالم، وماذا يحدث؟ يجب أن نفهم حتى نكون شهداء على الناس، الحاضر هو الذي يشهد، والغائب لا شهادة له، هذه الأفكار قرآنية آفاقية نفسية اجتماعية، رياضيات وفيزياء، إنها أفكار كبيرة وكبيرة جداً، نقولها، ولكن ليس لها صدى إلى الآن، ما رجع الصدى؟

على المسلمين أن يفهموا، وعلينا أن نساهم في تحقيق كلمة السواء والعدل بين الناس. وإن لم نفهم لا نستطيع أن نفعل شيئاً، سنبقى أذلاء، إن مصطلح صراع الحضارات، حوار الحضارات، لقاء الحضارات... هذه المصطلحات يمكن أن تفهم من دراسة التاريخ والتعرف على تاريخ البشرية. أنا استفدت من أرنولد توينبي بفهم معنى حوار الحضارات، حينما قال: «أنا درست حضارتين جيداً، لكن الإنسان يستطيع أن يدرس ثلاث حضارات أو أربعاً أو خمساً، يدرس هذا الشيء ليكتشف قوانين المجتمع».

قانون لا إكراه في الدين هو لا إكراه في السياسة، لا إكراه في بناء الأسرة، لا إكراه في الزواج، الحياة لا تقوم قياماً سليماً إلا بكلمة السواء (العدل) وليس بالإكراه، البيع والشراء لا إكراه فيه.

إذا تحدثنا عن الرؤية المستقبلية للحرب، فإن العالم يسير باتجاه أن الحرب ستضع أوزارها، كما يقول القرآن الكريم: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤/٤٧] وإن الذين يقومون بالحرب هم الخبثاء الذين يستغلون جهل الجاهلين.

وإن التاريخ طويل الأمد، هو الذي أعطانا القدرة على أن نفهم بسرعة وبأمد قصير بأن الإنسان يتجه نحو الوعي ونبذ الحرب والعنف، إن أوربة اتحدت وباتحادها هذا كأنها تكوِّن نواة لوحدة عالمية، هذا يحدث أمام أعيننا، وهذا قابل لأن يتحول إلى وحدة عالمية بتوفر المناخ، وإن الذي يستطيع أن يقدم تصوراً صحيحاً عن الله وعن الكون وأنه ليس عبثاً، هو الذي سينجح في النهاية. والقرآن الكريم يقول: سيظهر هذا الدين ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾.

وأخيراً أقول:

إن الخوف هو عدم ثقتك بعقل الإنسان وقدراته التغييرية، إنه يجعلك تؤمن بشيء آخر غير العقل ليحميك.

إن الخوف يأتي من عدم فهم الآخر، ولكن بفهمه تطمئن.

بالخوف يخسر الجميع، بالطمأنينة يربح الجميع.

الذي يؤمن بالعنف يظل خائفاً، وليس آمناً.

أما المؤمن بالعقل فمرتاح ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

نيسان (أبريل) ٢٠٠٦م

لم هذا الرعب كلّه من الإسلام؟

١- من المفيد أن نعرف الأفكار والنتائج التي وصلت إليها عناصر الاستطلاع وجهود المتنبئين للمستقبل من الغربيين، لأن النتائج التي يصلون إليها قد تكون مفيدة لنا، سواء كانت هذه النتائج صائبة أم خاطئة إذا عرفنا أن نضعها في موضعها.

فمن أواخر القرن الماضي إلى يومنا هذا تتوالى الدراسات والبحوث في أوربة وأمريكا عن الشرق، سواء كان باسم الأدنى أو الأوسط أو الأقصى أو آسية أو إفريقية، فعلى اختلاف أنواع الدراسات يتبين من الأساليب المختلفة التي يستعملونها أهمية الإسلام في أفكار هؤلاء الدارسين المستطلعين للأحوال الحاضرة والمستنبطين للأمور المستقبلة.

وليس هذا الاهتمام مما يخفى على الباحث العادي، بل يظهر بأدنى تأمل في صور متعددة، منها ما يتلبس بالحذر المتطور إلى الخوف والرعب ومنها الشامت المغير ومنها المغري بالإغارة أو الإلهاء.

٢- إن هذه المواقف التي يقفونها عبَّر عن دوافعها (ليوبولد فايس: محمد أسد) في قوله: «إن هذه المواقف المختلفة غير المطمئنة التي يقفونها سببها أنهم عرفوا - ولو لا شعورياً - أن الفكر الإسلامي هو الفكر الكفء الرزين الذي يمكن أن يقف أمام الفكر المعاصر، وينزله منزلته الصحيحة من غير محاباة ولا ظلم فلا يعطيه أكثر مما لا يستحق ولا يبخسه حقه.

فهم يتضايقون من هذا الموقف ويأنفون أن يروا من يقف معهم على هذا النحو، فلذا يعجزون عن كتم هذه المشاعر».

٣- وكنت أعجب أول الأمر حين يظهر لي هذا التوجس والخوف والرعب من مطالعاتي، فبعضهم كان يطرح الموضوع كاحتمال وتوقع، ومن هؤلاء: جورج سارتون الأمريكي الذي عبر عن هذا الاحتمال في رسالته (حضانة الشرق الأوسط للثقافة الغربية).. قال: «إن المآثر التي قامت بها الشعوب التي تتكلم اللغة العربية وذلك بين القرن ٩، ١٢ كانت عظيمة لدرجة تخمل أفهامنا. وإن شعوب الشرق الأوسط سبق لها أن قادت العالم في مرحلتين طوال ألفي عام

على الأقل قبل أيام اليونان وفي العصور الوسطى لمدة أربعة قرون.

وليس ثمة ما يمنع تلك الشعوب من أن تقود العالم ثانية في المستقبل القريب أو البعيد».

٤- ومن هؤلاء الذين تعرضوا لهذا الموضوع لوثروب ستودارد الأمريكي إذ أشار إلى اهتمام المعنيين من الأوربيين والأمريكيين بقوة الاتحاد الفكري الموجود عند المسلمين والروابط المتينة التي عجزوا عن فصلها، فهو يشير إلى الآراء المقترحة لوسائل هدم هذا الاتحاد فيذكر منها هدم النظام السياسي الملتحم مع العقيدة (الخلافة). ثم إن المؤلف نفسه لا يرى وجاهة هذا الرأي فيذكر للاتحاد سبباً آخر غير ذلك ويعتبر السبب الحقيقي في رأيه هو الركن الخامس من أركان هذا الدين (الحج) ثم يفصل في تبرير وجهة نظره فيقول: «الجامعة الإسلامية بمعناها الشامل ومفهومها العام إنما هي الشعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في المعمور الإسلامي، وهي قديمة بأصلها ومنشئها

منذ عهد صاحب الرسالة، أي منذ شرع الرسول يجاهد، فالتفَّ من حوله المهاجرون والأنصار معتصبين معه بعصابة الإسلام لقتال المشركين. وقد أدرك محمد ﷺ خطورة الجامعة وعلو منزلتها في المسلمين حق الإدراك، وعلم كل العلم ما لها من عظم الشأن وجلل المقام في قلوب المؤمنين، فغرس غريستها بيديه في نفوسهم، فنمت وتغلغلت وامتدت جذورها ويبست أغصانها وفروعها وأينعت ثمارها. فقد كرَّ عليها أكثر من ١٣ قرناً فما أوهن كرور هذه القرون من الجامعة الإسلامية جانباً، ولا ضعضع لها كياناً، بل كلما تقادم عليها العهد ازدادت الجامعة شدة وقوة ومناعة واعتزازاً.

حقاً إن الجامعة اليوم بين المسلم والمسلم لأقوى منها بين غير المسلمين، ولا ينكر أن المسلمين يتقاتلون قتالاً شديداً بعضهم مع بعض، بيد أن هذا الجدال ليس له من الشأن أكثر مما لأحقر نزاع ينشأ بين أفراد الأسرة الواحدة المشتبكة الأرحام من الشأن، إذ لا حقد في الإسلام، فعند الشدائد تذهب الأحقاد بين المسلمين فيصطلحون على الأمر الذي فيه

يختلفون ويتألبون جموعاً متراصة متماسكة لقتال العدو المهاجم ورد الخطر الداهم.

ومن أحب أن يقف حق الوقوف على ما أراده الإسلام من غرض الجامعة وغايتها فلينظر إلى حال المسلمين اليوم وإلى تيار هذا التعاطف والتشاكي يعلم سر الجامعة ومكانتها في نفوس المسلمين.

وفي الواقع ليس من دين في الدنيا جامع لأبنائه بعضهم مع بعض موحد لشعورهم دافع بهم نحو الجامعة العامة والاستمساك بعروتها كدين الإسلام.

وعلى اختلاف أجناس المسلمين واتساع آفاق بلادهم لم يسمع قط شعباً قليلاً كان أو كثيراً انتحل الإسلام ديناً ثم ارتد عنه.

قد حدث أن أجلي المسلمون عن بعض البلاد التي كانوا فتحوها وشيدوا فيها ملكاً ودولة كالأندلس، غير أن إجلاءهم عن مثل هذه البلاد ليس بالسائغ اعتباره جعل بعض المسلمين يرتدون عن الإسلام.

إن الوحدة الإسلامية إنما هي قائمة على ركنين هما أساساها ولا ثالث لهما:

الحج إلى بيت الله الحرام والخلافة

وقد غلب على رأي الكثيرين من رجال الغرب وهْمٌ في هذا الموضوع، فهم ما برحوا يخالون الخلافة لا الحج العامل الأكبر والأشد الذي بسببه يتشارك المسلمون ميولاً وعواطف تشاركاً مؤدياً إلى اعتزاز الوحدة وازدياد منعتها وامتدادها وانتشارها، على أن هذا لمن الوهم الصرف، فالأمر حقاً على الضد منه.

إن محمداً ﷺ فرض الحج[1] على من استطاعه فرضاً مقدساً، ولذلك ما زالت مكة المكرمة حتى اليوم مجتمعاً يجتمع فيه كل عام أكثر من مئة ألف حاج، وافدين من كل رقعة من

(١) هذا كلام لوثروب، أما المسلمون فيعتقدون أن الله عز وجل هو الذي يفرض ويشرع، والرسول (كان مبلغاً ومفسراً لأوامر الله تعالى.

رقاع العالم الإسلامي، وهناك أمام الكعبة المقدسة في مكة المكرمة يتعارف المسلمون على اختلاف الألسنة والأجناس، ويتباثُّون العواطف الدينية، ويتباحثون في الشؤون الإسلامية، ثم ينقلبون إلى أوطانهم نائلين لقب الحاج لقباً يُعرف صاحبه بالتقوى، فيجلُّه إخوانه المسلمون، ويعلون منزلته بينهم مادام حياً.

فالمقاصد والأغراض السياسية التي ينالها المسلمون على يد الحج الممهد لها السبيل، إنما هي معلومة لا تحتاج إلى كبير إيضاح، بل يكفي أن نقول إن الحج هو المؤتمر الإسلامي السنوي العام، فيه يتباحث الوفود الإسلامية، والنواب المسلمون الطارئون من أقطار المعمور الإسلامي كافة في مصالح الإسلام، وفيه يقوم هؤلاء بوضع الخطط ورسم الطرائق للدفاع عن بيضة الإسلام، والذب عن حياض المسلمين، ونشر الدعوة في سبيل الرسالة. وفي هذا المؤتمر العظيم كانت قلوب قادة اليقظة الإسلامية وأبطالها كمحمد بن عبد الوهاب والسنوسي وجمال الدين الأفغاني تشعر بجلال

الواجب الإسلامي المقدس، وتتقد من خطورة المشهد وروعة المحفل غيرة على الإسلام والمسلمين.

أما الخلافة فقد كان لها - حقاً - شأن تاريخي عظيمٌ ولاسيما في أوائل عهدها. ولكن أخيراً أفضت في النهاية إلى أن أطفئ سراجها الوهاج، فانقلبت إلى صورة وهمية. وسلاطين الترك اتخذوا لأنفسهم لقب الخلافة، فاعترف عالم السنة الإسلامي لهم بهذه الخلافة الاسمية، بيد أن سلاطين الترك في القسطنطينية ما كانوا ليحرزوا من المكانة الدينية في العالم الإسلامي مثل ما أحرزه من قبلهم الخلفاء الراشدون وأكابر خلفاء بني العباس في بغداد.

وقد جهد السلطان عبد الحميد جهداً كبيراً لإحياء عظمة الخلافة الدينية واسترداد ما كان لها من الجلال والهيبة والخطورة في العالم الإسلامي، فنال ما ناله ليس بسبب من أسباب الخلافة من حيث الاعتبار الديني، بل بسبب الشعور العام الذي ظهر واشتعل في صدور المسلمين لإنشاء الجامعة الإسلامية الكبرى.

هذه حقيقة غابت عن عقول كثير من ساسة أوربة حتى وجلوا من عبد الحميد فحسبوه في الإسلام كالبابا في النصرانية.

ومازلنا نرى حتى اليوم أكثر ساسة الغرب يتهمُون في ذلك فيخالون الجامعة الإسلامية إنما كان مبعثها الخلافة.

ونرى أيضاً غالب حملة الأقلام يفيضون في الكلام فيما إذا استبقيت الخلافة في السلطان التركي على ظلَعِه[١]، أو نقلت إلى شريف مكة، أو قضي عليها القضاء الأخير، وأي هذه الوسائل تكون خيراً لهيض جناحي الجامعة الإسلامية؟

إن هذا - وايم الحق - لغاية ما يرتكب من الخطل، لا ينكر أن الخلافة ما برحت رفيعة المكانة في عيون المسلمين بلا ريب، غير أن قادة الجامعة الإسلامية الحديثة ذوي العقول الثاقبة والذكاء المتوقد، ما فتئوا منذ عهد بعيد يجدّون في سبيل الجامعة في نطاق أوسع وأفق أبعد وقد أيقنوا كل الإيقان أن القوة الكبرى التي تستمدها الجامعة الإسلامية اليوم ليست من

(١) أي عرجه.

مركز الخلافة ولكن من بيت الله الحرام حيث الحجيج إذ يأتمرون كل عام مؤتمراً عظيماً، ومن إنشاء الطرق الدينية المؤدية إلى الجامعة الإسلامية كالطريقة التي أنشأها السنوسي»[١].

٥- ومن هؤلاء الذين تناولوا هذا الموضوع المستشرق الإنجليزي المعاصر (جب) حيث طرح هذا التساؤل: هل يمكن أن نقع يوماً ما تحت وطأة الخطر الإسلامي؟ فحاول أن يذكر الأجوبة المختلفة من استبعاد هذا الخطر أو توقعه، ثم أضاف إلى ذلك كله، فقال: «أجل إنهم اليوم ضعاف متفرقون لا نرى عزماً أكيداً لدى شبابهم يحملهم على التضحية، ولا نرى عند ذوي الرأي والوجاهة فيهم أنهم يستطيعون الجلوس معاً جلسة جدية يتحدثون فيها عن مشاكلهم فضلاً من أن يتمكنوا من حلها».

ثم يصف حالة العالم الإسلامي كما يراها فيقول: «ففي

(١) صفحة ٧٢ من كتاب حاضر العالم الإسلامي تأليف لوثروب ستودارد ترجمة عجاج نويض.

طول ثلاثة عشر قرناً ونصف القرن من تاريخ الإسلام يصعب أن نشير - حتى سنوات قليلة - إلى حالة واحدة اجتمع فيها ممثلون من جميع أصقاع العالم الإسلامي ليتشاوروا في مشاكل تعنيهم جميعاً وليقرروا اتباع طريق واحد في العمل ولكن من عام ١٩٠٠ نرى فكرة عقد المؤتمرات الإسلامية تشق طريقها إلى الأمام شيئاً فشيئاً..»

ويصف أحد من هذه المؤتمرات فيقول: «اجتمع على غرض نظري... أما هيئته فكانت فيها أغلبية ساحقة من رجال الدين وكانت نتائجه سلبية (كما كان ينتظر) أما اللجان الدائمة التي وضع نظامها مقدماً فالظاهر أنها لم تبرز إلى عالم الوجود، كأنه في الأمرحظ من الجد قليل جداً وكانت وسائل البحث من الطراز العتيق الذي لا يتلاءم مع حاضر العالم الإسلامي.»

ثم قال بعد أن استعرض ما يمكن أن تؤدي إليه أهداف هذه المؤتمرات: «وحتى إذا زعمنا أن العالم الإسلامي يمكنه أخيراً أن يجد في هذا النظام وسيلة يستثمر بها موارد القوة الهائلة التي تملكها شعوبه أحسن ما يكون الاستثمار، فإن المؤتمرات وما

شاكلها لن تؤدي البتة إلى بلوغ هذه الآمال، ولا نستطيع القول إنها ستبلغ غايتها حتى بعد مدة طويلة من الزمن. ولكن ينبغي ألا نبالغ في تقدير طول هذه المدة، لأن هناك ظاهرة كثيراً ما يهملها الباحثون في حركات المجتمع الإسلامي مهما كان نوعها، وهي أنها تنضج بسرعة مدهشة حتى أن وجودها - كما أشار الأستاذ ماسينيون - يندر أن يخطر على بال أحد قبل أن يندلع لهيبها ويروع العالم. والمسألة الكبرى هي مسألة الزعامة[1] فحينما يجد الإسلام «صلاح الدين»[2] الجديد رجلاً يجمع بين الحنكة السياسية العظيمة وبين الشعور برسالته الدينية يبلغ أعماق نفسه فإن ماعدا ذلك ينحل من تلقاء نفسه»[3].

٦- ونحو هذا ما ذكره الدكتور أحمد شوكت عن

(١) مالك بن نبي له رأي في هذا الموضوع في آخر كتاب شروط النهضة حين تحدث عن خرافة الرجل الوحيد والشيء الوحيد.

(٢) يعني به صلاح الدين الأيوبي.

(٣) كتاب وجهة الإسلام لجب ص٣٣٢.

(البرمشادور) الذي تناول الحديث عن المسلمين فقال: «إن هذا المسلم الذكي الشجاع قد ترك لنا حيث حل آثار علمه وفنه، آثار مجده وفخاره، إن هذا المسلم الذي نام نوماً عميقاً مئات السنين قد استيقظ وأخذ ينادي هذا أنذا لم أمت. إني أعود إلى الحياة لا لأكون أداة طيعة أو كتلاً من البشر تسيرها العواصم الكبرى.» ثم يقول: «ومن يدري؟ قد يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الفرنج مهددة بالمسلمين فيهبطون من السماء لغزو العالم مرة ثانية في الوقت المناسب أو الزمن الموقوت.. لست أدَّعي النبوءة، ولكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة لا تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها».

٧- إنهم يعبرون عن هذا المعنى بأساليب مختلفة ووجهات نظر متعددة، إلا أن الجميع يتفقون على توقع الخطر وموضع الخطر فيكتب في مجلة (التاريخ الجاري) الأمريكية مقال بعنوان: (محمد يتهيأ للعودة) ويعقب ذلك عنوان آخر معناه: إن المسلمين رقدوا ٥٠٠عام وهم يتحركون الآن ويتوثبون إلى السلطان.

٨- والأدعى للتأمل من ذلك ما يذكر عن نابليون من أنه تنبه حين وجوده في الشرق إلى ذلك، وإن كان نظر إلى الموضوع نظراً آخر، وهو أن يستغل هذه القوى، وقد قيل عن أفكاره في هذا الموضوع شيء كثير، ومن ذلك ما ورد في مذكرات المؤرخ (لاكاز) الذي رافق نابليون إلى جزيرة (سنت هيلانة) وقيد جميع ما سمعه من أحاديثه.

سأل لاكاز عن هذا الموضوع نابليون، فاعترف له أنه كان عزم على الدخول في الإسلام ويشيع ذلك في جيشه ولكنه لم يكن يريد أن يفعل ذلك إلا بعد أن يصل بجيشه إلى الفرات بحيث يتمكن بعمله هذا من الاستيلاء على الشرق. ونحن لا يهمنا صدقه في اعتناقه الإسلام لأنه كان لا ينظر إلى ذلك إلا من جهة الفوائد التي يمكن أن يحصل عليها بواسطته، ولاسيما إذا تذكرنا ما نقل عنه (غوستاف لوبون) من قوله في مجلس شورى الدولة: «لقد أنهيت حرب (فاندة)[١] بانتحالي

(١) فائدة: إقليم فرنسي قامت فيه الحرب المشار إليها بين رجال الدين والفلاحين ضد الثورة الفرنسية دفاعاً عن الدين والملكية عام ١٧٩٣. (الناشر).

الكتلكة، واستوليت على مصر بانتحالي الإسلام، واستملت قساوسة إيطالية بانتحالي مبادئ البابوية، ولو ملكت شعباً يهودياً لأعدت هيكل سليمان».

إلا أن الذي يعنينا هنا هو تنبيهه السريع إلى الطاقات الكامنة في العالم الإسلامي في وقت مبكر، وتفكيره في الطريقة التي يمكن أن يستغل بها هذه الطاقات.

إنه كان يعلم من وراء خمول هذه الأمة خزائن لا مثل لها من القوة الفعالة الكامنة، وكان يؤمن أنه إذا وفق إلى إيقاظ هذه الأمة يمكن أن يغير وجه الأرض قاطبة، لهذا كان يرى أنه لابد أن يكون في نشأة هذه الأمة سر لا تعلمه، وأن هناك علة أولى مجهولة - كما جاء في مذكرات سانت هيلانة-.

٩- ونجد تطور هذه الفكرة في صورة أخرى في حديث رجل فرنسي مع طلابه إبان الاحتلال الألماني لفرنسة في الحرب العالمية الثانية ينقله رجل من العرب شاهد عيان، حيث كان يتلقى العلم هناك في ذاك الوقت.

إن هذا الأستاذ الفرنسي قال لمن يريد أن يربيهم للمستقبل من أبناء بلاده - منبهاً إياهم ومعزياً لهم عن الاحتلال

الألماني: «إن الخطر الذي داهمهم من الألمان ليس هو الذي يخافه عليهم وعلى مستقبلهم، وإنما الخطر الجدير بالخوف هو ما يمكن أن تأتي به هذه الشعوب التي تربض خلف البحر الأبيض المتوسط، لأن خطرها هو الذي يهز الكيان ويزلزل الأركان».

١٠- ونحو هذا ما صرح به (سالازار) في حديث له مع بعض الصحفيين، من أن الخطر الحقيقي إنما هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون من تغيير نظام العالم. فقيل له: إنهم في شغل عن أن يفكروا في هذا بخلافاتهم ونزاعاتهم. فقال: «إني أخشى أن يخرج من بينهم من يوجه خلافهم إلينا».

١١- وعبر عن هذا (مرماد يوك باكثول) بطريقة أخرى، وهي أن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في الدنيا الآن بنفس السرعة التي كانوا نشروها بها سابقاً إذا رجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول، لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع أن يقف أمام روح حضارتهم.

١٢- ولأحد الألمان المستطلعين للأمور قولٌ في هذا، وهو

أنه يخشى أن تتحول الجامعة العربية الوهمية الخيالية الآن إلى جامعة حقيقية فتقع أوربة في خطر أعظم من الخطر الأصفر الذي كانوا يخافونه.

١٣- وذكر هذا (لورنس براون) بوضوح أكثر حين قال: «لقد كنا نُخوف بشعوب مختلفة، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل هذا الخوف، لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي والخطر الأصفر - باليابان وتزعمها على الصين - وبالخطر البلشفي، إلا أن هذا التخوف كله لم نجده كما تخيلناه لأننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد، ثم رأينا أن البلاشفة حلفاء لنا أثناء الحرب العالمية الثانية. أما الشعوب الصفراء فإن هناك دولاً ديمقراطية كبرى تتكفل بمقاومتها.. ولكن الخطر الحقيقي كامن في المسلمين وفي قدرتهم على التوسع والإخضاع وفي الحيوية المدهشة العنيفة التي يمتلكونها، ألا إنهم السد الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي».

١٤- ومن هذا ما ذكره أحد المكافحين من رجال المغرب

في محاضرة له، فقد ذكر قول أحد جنرالات فرنسا الذي قدم للمحاكمة بتهمة التقصير في أداء الواجب في الجزائر، فكان من جوابه لهم «كيف تطلبون مني أن أصل إلى ما تريدون من مقاصد في شعب يظل الواحد منهم - حتى بعد أن ندوس على رقبته - لا يزال يحمل في قلبه، رسالته يشعر أنه ينبغي أن يؤديها في قلب فرنسا».

١٥- يقول أحد علماء السوربون في مؤلفاته: إن العالم فيه ثلاث قوى... قوة الشرق وقوة الغرب، وهناك قوة ثالثة لو عرفت نفسها لأمكنها أن ترث القوانين. وهذه القوة هي القوة الكامنة وراء يقظة المسلمين لأن لهم نظرة انفردوا بها عن العالم في تنشئة الرجال.

١٦- ألّف (غوستاف يونج) كتاباً تحدث فيه عن الحساب الأخير الذي اقترب، الحساب الذي سيتولى القيام به العالم الإسلامي ضد أوربة الاستعمارية والصهيونية التي تحاكيها، وخلاصة مؤلفه: «أن العالم الإسلامي قد أفلت من قبضة الموت الذي أعده ونسق أكفانه الاستعمار الأوربي، وأن

العالم الإسلامي يسرع الخطى إلى الشباب ليصفي حسابه مع الاستعمار الأوربي الصهيوني وهو حساب عسير رهيب».

١٧- وفي تاريخ محاضرات عن الشرق الأدنى حررها (أ. البا) جاء هذا التساؤل: «ماذا كانت حال العالم لو أن المسلمين انتصروا علينا؟ إذن لكنا نحن اليوم مسلمين كالجزائريين والمراكشيين».

١٨- ونختم أنباء هذه التنبؤات والاستطلاعات بالتفصيل الأدق الذي جاء في كلمة لأحد المسؤولين في وزارة خارجية فرنسة ١٩٥٢ قال: «ليست الشيوعية خطراً على أوربة فيما يبدو لي، فهي حلقة لاحقة لحلقات سابقة. وإذا كان هناك خطر فهو خطر سياسي عسكري فقط، ولكنه على أي حال ليس خطراً حضارياً تتعرض معه مقومات وجودنا الفكري والإنساني للزوال والفناء.

إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً عنيفاً هو الخطر الإسلامي، والمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص ويتمتعون

بحضارة تاريخية ذات أصالة، وهم جديرون أن يقيموا بها قواعد عالم جديد دون حاجة إلى (الاستغراب) أي دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية بصورة خاصة في الشخصية الحضارية الغربية، وفرصتهم في تحقيق أحلامهم هي في اكتساب التقدم الصناعي الذي أحرزه الغرب، فإذا أصبح لهم علمهم وإذا تهيأت لهم أسباب الإنتاج الصناعي في نطاقه الواسع انطلقوا في العالم يحملون تراثهم الحضاري الفني، وانتشروا في الأرض يزيلون منها قواعد الروح الغربية ويقذفون رسالتها إلى متاحف التاريخ.

وقد حاولنا خلال حكمنا الطويل في الجزائر أن نتغلب على الشخصية التاريخية لشعب هذا البلد فلم نأل جهداً في صوغ شخصية غربية له، فكان الإخفاق الكامل نتائج مجهودنا الضخم الطويل.

إن العالم الإسلامي يقعد اليوم فوق ثورة خيالية من الذهب الأسود والمواد الأولية الضرورية للصناعة الحديثة، وهو في حاجة إلى الاستقلال في استغلال هذه الإمكانيات الضخمة

الكامنة في بطون سهوله وجباله وصحاريه، فهو في عين التاريخ عملاق مقيد، عملاق لم يكتشف نفسه بعد اكتشافاً تاماً، فهو حائر، وهو قلق، وهو كاره لماضيه - في عصر الانحطاط - راغب رغبة يخالطها شيء من الكسل، أو بعبارة أخرى من الفوضى في مستقبل أحسن وحرية أوفر، فلنعط هذا العالم ما يشاء، ولنقوِّ في نفسه الرغبة في الإنتاج، ولنصنع له ما يشاء من منجزات الصناعة الحديثة، شرط أن نبتعد به عن حقل الإنتاج الصناعي والفني فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة وتحرر العملاق من قيود جهله وعقدة الشعور بعجزه عن محاراة الغرب في الإنتاج فقد بُؤنا بالإخفاق الذريع، وأصبح خطر العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطراً داهماً يتعرض به التراث الحضاري الغربي لكارثة تاريخية ينتهي بها الغرب وتنتهي معه وظيفته القيادية».

ومن جملة ما نفهم مما سبق:

سمات رجل الحضارة الأوربي ومفاهيمه

١٩- فمن مفاهيم هذا الرجل أن العدل والحق والكرامة

ليست من حقوق الإنسان لأنه إنسان، بل لأنه يحمل سلاحاً ويُعطى له الحق لأنه يستطيع أن يأخذه بقوته إن لم يعطه؛ فهذا المفهوم المتسلط على رجل الحضارة الأوربي يجعله يرتعب جداً لأنه يشعر أنه سيفقد الكرامة والعدل والحق إذا ملك غيره مثلما يملك أو أكثر، فإذا استحضر هذه الصورة فقد السيطرة على نفسه، وأوضح مثل على ذلك فكرة الأرض المحروقة في الجزائر فهي أثر محلي لهذا الشعور عند المستوطنين الفرنسيين. فرجل الحضارة الأوربي لم ينس تاريخه، فهو يعرف كيف عامل الناس كأنه مروِّض وحوش منذ ثلاثة قرون، فشعر لذلك بذنبه فحصل عنده اضطراب نفسي وتسلط عليه الشعور بالإساءات التي صدرت منه والخوف من القصاص؛ لأن الأمر أخذ يخرج من يده إلى يد غيره فما يعرف كيف سيكون موقفه غداً، فهو كالمجرم الذي شعر أن حرية إجرامه أخذت تضيق عليه يوماً بعد يوم، وبدأ يتصور أنه ربما وقف أمام العدالة.

فهذا الإنسان لم يعد سوياً، لأنه نتاج حضارة غير سوية،

فهو لا يمكن أن يتصور العيش إلا قوياً ظالماً أو ضعيفاً مظلوماً لأن فلسفته الحضارية كذلك. وكذلك فهم تنازع البقاء، وهكذا عاش ولا يزال يعيش.

إن العالم اليوم في حاجة إلى حضارة تنتج إنساناً يشعر إذا مشى بين الناس بأنه آمن، لا لأنه يحمل سلاحاً لا يحمل غيره مثله، بل لأن له مفهوماً عن السلاح والإنسان مخالفاً للمفهوم الذي كان للحضارة التي آذنت شمسها بالمغيب.

فالإنسان الجديد المنتظر ناتج الحضارة الجديدة يمكن أن يكون حريصاً جداً على السلاح ولكن لا ليعيش ظالماً بل ليمنع الظلم وينشر الأمان.

أظن أنك يمكن أن تضحك وتضحك كثيراً لو رأيت رجلاً يمتقع لونه إذا رأى شرطياً يحمل سلاحاً، ثم يأخذ يحدثك برعب عما يمكن أن يقوم به هذا الشرطي من الإفساد... فهذا الرجل المتقع اللون قد يكون عقله إلكترونياً ودخله كبيراً جداً، وقد يكون رائداً للفضاء ولكن مفهوم حضارته ملازم له. مع كل هذا فهو إما قوي ظالم أو ضعيف مظلوم، قد

استولى عليه هذا المفهوم وتأصل فيه، ولا يمكن أن يتصور غير ذلك، فكرة رسخت وترسبت منذ قرون. فإذا جاء إلى هذا الرجل الممتقع اللون الواقع عند مركبته الفضائية أحد الحفاة الحديثي السن الرث الثياب من رعايا المستعمرات في الجنوب العربي وقال له لا تخف من هذا الشرطي الذي يحمل القنبلة الروحية - وإن كان انفجارها أشد تأثيراً من انفجار المادة - أو أنه قد يركب البراق ليخترق السبع الطباق لأن المجتمع الذي يعيش فيه هذا الشرطي يفهم وجهاً ثالثاً لحياة الإنسان لم يستطع أن يصل إليه عقلك الإلكتروني بعد، فهذا الوجه الثالث هو أن حضارتنا لا يشعر الإنسان فيها بالأمن لأنه قوي مسلح بل يشعر فيها بالأمن لأنه غير ظالم. فهنا يتحول امتقاع لونه إلى انفعال جنوبي ويقول: هذا الهزيل المهلهل الثياب أخطر من الشيوعية لأن الشيوعية لم تخرج عن مفاهيمنا بعد ولكن هؤلاء الحفاة العراة هم الذين في إمكانهم أن يحولوا حضارتنا إلى متحف التاريخ ويزيحونا عن مكان القيادة، ويمحوا فلسفاتنا عن الوجود، لأن مثل هذه الأفكار الخطرة

التي يحملها هذا الفقير أعمق أثراً في نفس الإنسان من دعوة العمال أو حماية رأس المال.

فلنصنع لهم السيارات ولننتج لهم البرادات ولنبتكر لهم الأفلام وما لم يخطر على بال أحد منهم من وسائل اللهو حتى لا يفكروا ولا يصنعوا، وإلا فسيؤول حالنا إلى: ما تنبأ به المستر غلادستون[١] وأعلنه في مجلس العموم البريطاني قبل أن يحل هذا القرن حين قال: «ما دام هذا القرآن الذي يحمله المسلمون موجوداً فلن تستطيع أوربة السيطرة على الشرق ولا أن تكون أوربة نفسها في أمان».

أما بالنسبة لنا فما أظن أنه من المفيد أن نذكرهم أننا من عاداتنا أن نقول في مثل هذه المواقف: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» ولكن الذي ينبغي لنا أن نسعى إليه هو الوصول إلى ذلك اليوم الذي يحق لنا فيه أن نصدر هذا الحكم.

فهناك نكون قد حللنا عقدة رجل الفضاء ذي البشرة البيضاء، فيعود سوياً ويزايله القلق الممض ويشعر براحة

---

(١) سياسي بريطاني ولد سنة ١٨٩٠ ومات سنة ١٨٩٨.

عظيمة وسعادة تامة ما كان يحلم بها حتى يوم كان يقوم بدور المروض، لأن الرعب ما كان يفارقه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

١٩٦١م

مراجع البحث[١]

١- من كتب العقاد.
٢- الطريق إلى مكة (محمد أسد).
٣- الشرق الأوسط في مؤلفات الأميركيين.
٤- حاضر العالم الإسلامي.
٥- وجهة الإسلام «جب».
٦- مجلة المعرفة (السنة الثانية).
٧- مجلة الرسالة، مقال للعقاد بعنوان: يهمون به هل يعرفونه؟
٨- محمد رسول الله «آيتيان دينيه».
١١- مجلة المباحث للعشماوي من مقال لمحب الدين الخطيب.
١٣- التبشير والاستعمار.
١٤- من محاضرة للفضيل الورتلاني.
١٥- من محاضرة لمصطفى الحفناوي نشر مجلة الأزهر.
١٦- دولة القرآن «عبد الباقي سرور».
١٧- مقدمة نداء الإسلام «رمضان لاوند».
١٨- من إيحاءات الفكرة الأفرآسيوية (مالك بن نبي).
١٩- الإسلام على مفترق الطرق (محمد أسد).

---

(١) كل فقرة من فقرات البحث يقابلها مرجعها.

جودت سعيد

نبذة عن سيرته وفكره وأعماله

غطفان القادري

السيرة الذاتية:

جودت سعيد مفكر إسلامي بارز، مواكب للحركة الفكرية المعاصرة، تميز بمنهج فكري فريد، يعد تطويراً لمناهج المفكرين قبله.

- ولد عام ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣١ م في قرية بئر عجم التابعة لمحافظة القنيطرة لأسرة شركسية من القوقاز هاجرت إليها.

- رحل إلى القاهرة منذ الثانية عشرة من عمره، فانتسب إلى الأزهر، ودرس فيه منذ المرحلة الإعدادية حتى تخرج بكلية اللغة العربية فيه.

- عاصر ولادة الأفكار الحديثة والاتجاهات الفكرية المتعددة في مصر وعاشها على اختلافها.

- بناؤه الفكري جاء من استثمار وجوده في القاهرة وحضوره مواقع العلم والحركة الثقافية فيها، ومطالعته النهمة إلى درجة لا توصف.

- قراءاته الحرة أكسبته نظاماً فكرياً حراً ملتزماً، فكان المفكر الإسلامي الذي اهتم بترشيد الوعي وتصفيته من العوالق، وتبنى فكرة نبذ العنف ليضع بديلاً حضارياً يتمثل في التغيير بالحوار والبحث في آيات الآفاق والأنفس.

- تفرغ للعمل الفكري والدعوي، فقدم عدداً من الكتب والدراسات والمحاضرات منذ أواخر الخمسينيات للقرن العشرين، وما زال يقدم.

أهم أفكاره:

- تبنى فكرة نبذ العنف، لأن الحروب التي انتهت الآن لا يقوم بها إلا الخبثاء الذين يستغلون جهل الجاهلين (كتابه مذهب ابن آدم الأول) (وكتابه كن كابن آدم).

- فهم معنى ختم النبوة بأنه نقلة بالبشرية من الوحي الإلهي والمعجزات والخوارق إلى مرحلة العلم والقانون

والسنة التي أسس لها القرآن الكريم بإعادة الأمور إلى عواقبها التي تؤصل لمرجعية تمييز الخطأ من الصواب.

- وسَّع فكرة قابلية الاستعمار التي طلع بها مالك بن نبي فألف كتابه (حتى يغيروا ما بأنفسهم).

- رأى أن المشاكل وأسبابها تختبئ تحت عباءة الجهل وسوء الفهم وليس بسبب غياب الإخلاص من النفوس، فألف كتابه (العمل قدرة وإرادة).

- كما رأى أن الفهم والمعرفة لا يورثان، فدعا إلى العمل على تحصيل الأدوات المعرفية وهذا هو مفهوم كلمة اقرأ وهو عنوان كتابه (اقرأ وربك الأكرم) وفيه وضع نظريته في المعرفة لتجعل من المسلم يمسك ببوصلة الوعي والإدراك، وعندئذ يستمطر الإنسان كرامته من الرب المشروطة بالقراءة.

- اهتم في القرآن بالآيات المفتاحية التي رأى أنها تفتح الوعي وتضع اليد على مشكلات الإنسانية وتردي الأمم وخوف المستقبل وتداعي الأمم وفقدان الشخصية والاستهلاك والاستلاب وعيش الوهم والخرافات.

- يدعو إلى إعادة الرشد للأمة بالرشد لأن الغي أذهبَ الرشد وهو لا يعود به.

- يدعو إلى إعادة قراءة الفكر الإسلامي الذي كتب بعد فقدان الأمة قاعدة الرشد وتكيفها مع الغي.

- ينظر إلى مشكلات الأمة والإنسانية من منظار العلم والسببية وقوانين الآفاق والأنفس والعواقب التاريخية.

- يريد أن يُخرج الأمة من السجون الفكرية والنفسية ويخلصها من الأغلال التي كبلت بها نفسها إلى رحاب الفهم والمعرفة من خلال قوانين الله عز وجل في الوجود الفيزيائي والاجتماعي والأخلاقي والنفسي.

- يدعو لفهم الإنسان أكثر فأكثر ليكون التعامل معه على أنه إنسان مكرّم من الله الذي نفخ فيه من روحه الإلهية وميزه بالعقل.

- يدعو إلى الإيمان بالإقناع، لأنّ الإكراه في العقيدة ليس إيماناً.

- يدعو إلى الحوار والشورى وبناء ثقة المسلمين بعضهم ببعض.

- يدعو إلى استثمار الأدوات والإمكانات كلها والطاقات البشرية المهدرة والمسروقة.

- يدعو إلى إعادة فهم الجهاد على ضوء الكتاب والسنة وفهم أنواعه وشروطه.

- يدعو إلى الثقة بالإنسان على قاعدة قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢/ ٣٠].

- وضع رؤية غير مألوفة تنطلق من صميم الإسلام لتبين مثالب الفكر الإسلامي وعيوبه وثغراته ولتحدد وجهة نظر نقدية على قدر كبير من الجرأة والموضوعية تجاه التراث والحاضر والمستقبل والعلاقة مع الآخر، والعلاقات داخل المجتمع الإسلامي وعقيدته.

- يدعو المسلمين إلى استرجاع ثقتهم بالعلم وبالسنن والقوانين الكونية والتاريخية كشرط لازم للنهضة.

- يؤكد على ردّ المشكلات إلى الذات لا إلى القوى الخارجية.

- يركز على علم التاريخ والنظر في العواقب على أنه مرجع مهم.

- يمتاز بنظرة شمولية للأحداث في العالم الإسلامي عامة

- يعيش الشيخ جودت سعيد اليوم في بلدته بئر عجم يمارس حياته اليومية بطريقة بسيطة وما يزال ينشط في اللقاءات والمحاضرات والحوارات.

من إصدارات دار الفكر للمؤلف

○ سنن تغيير النفس والمجتمع

مذهب ابن آدم الأول	ط٥	١٩٩٣	ط١	١٩٦٦
فقدان التوازن الاجتماعي			ط١	١٩٧٨
حتى يغيروا ما بأنفسهم	ط ٧	١٩٩٧	ط ١	١٩٧٢
العمل قدرة وإرادة	ط ٢	١٩٩٣	ط ١	١٩٨٠
الإنسان كلاً وعدلاً			ط ١	١٩٦٩

○ مجالس بئر عجم

مفهوم التغيير			ط ١	١٩٩٥
رياح التغيير			ط ١	١٩٩٥

○ فرائد

كن كابن آدم		٢٠٠١	ط ١	١٩٩٧
الدين والقانون		٢٠٠٢	ط ١	١٩٩٨

○ بالاشتراك

الإسلام والغرب والديمقراطية			ط ١	١٩٩٦
الحوار سبيل التعايش		٢٠٠٢	ط ١	١٩٩٥

مستخلص

كتاب في مشكلات الحضارة الحديثة التي رآها المؤلف تقوم على العنف والهيمنة وازدراء الآخرين.. وأنها مهددة بالسقوط.

الكتاب ينقسم إلى قسمين اثنين؛ الأول ((كيف بدأ الخوف؟)) تحدث فيه عن نشأة الحضارات وعلاقاتها بعضها ببعض، وأسباب سقوطها.. ثم أسباب انتعاش الحضارة الأوربية الحديثة وهيمنتها على الشرق، وتكبرها على الآخرين. وقارن ذلك بدعوة الأنبياء ورسالة الإسلام العالمية.. ودعا إلى فهم آيات الآفاق والأنفس وسنن الكون من أجل قيام حضارة إنسانية قائمة على العدل. ورأى أن الذي يملك القوة ليس له سلطان على العقل وأنه هو الذي يخاف، بينما الذي يعرف سنن الله هو الذي يطمئن.

أما القسم الثاني ((لم هذا الرعب كله من الإسلام؟)) فاستعرض فيه أقوال مشاهير الكتاب والمفكرين في الغرب حول الإسلام، فنقل أقوال محمد أسد لوثروب، وجورج سارتون، ستودارت، وجب، ولورنس براون، وغوستار جَنغ، وغيرهم، وقد صرحوا بخوفهم من الإسلام الذي ينام أهله في الوقت الراهن ويخافون صحوتهم ليقضوا على كل من عداهم، ومن هنا أخذوا يحاربون الإسلام أولاً بالقوة العسكرية، ثم ظنّوا أنهم إن أسقطوا نظام الخلافة العثمانية قضوا عليه، فلما فعلوا أدركوا أن في عمق الدين الإسلامي قوة يستطيع بها المسلمون إن استيقظوا أن يقضّوا مضاجع العالم كله.

Abstract

This book deals with one of the problems of the modern civilization, which the writer sees to be based on violence and disdaining others, and that it is about to collapse.

The book is divided into two parts:

In the first part, *"How Fear Started"*, the writer discusses the origination of civilizations, the nature of the relationships among one another and the cause lying behind their collapse. Then he introduces the reasons for the resurgence of the modern European civilization, the sovereignty it exercises on the East and its haughtiness over others. He lays comparison between the European civilization and the Prophets' Call as well as the Global Islamic Call. He also calls to acquiring comprehension of the Qur'anic Signs in horizons and souls and the rules of the universe as an introduction to the rise of a human civilization based on justice. The writer also sees that the side which possesses wealth has no domination over reason and that it is this side itself which feels frightened, whereas the side which with is acquainted with Allah's rules and traditions feels at ease.

In the second part, *"Why is Such Dread from Islam?"*, he presents quotations that famous Western intellectuals and writers said about Islam, mentioning the declarations of Muhammad Asad Leuthrope, George Sarton, Stodart, Jibb, Lawrance Brown, Gustar Jung and others. They all proclaimed their fear from Islam, whose followers are slumbering nowadays. They feel afraid of their wakefulness, which might lead to eradicating all others. Subsequently, they have been launching constant war against Islam, first by using force and then they imagined that if they could overthrow the regime of the Ottoman Caliphate, they would eradicate Islam. Having done so, they knew for sure that deep in the religion of Islam there is a certain power by which Muslims can destabilize the whole world.